دالية المتنبي في مديح سبط أبي عبادة البحتري
(دراسة تحليلية)

م.م. جنان عبد الله يونس
قسم اللغة العربية
كلية الآداب / جامعة الموصل

تاريخ تسليم البحث: 2012/9/3 ؛ تاريخ قبول النشر: 2012/11/1

ملخص البحث:

يمكن القول أن النقد الجمالي العربي قدم السمات الفنية الجمالية في الشعر المتميز وتنوعت نظرات الجمال عند المتكلمين والنقاد والبلاغيين فقدموا تراثاً جمالياً نقدياً ضخماً ارتبط برؤيتهم الخاصة وتجاربهم المتعددة لذا جاء هذا البحث ليحلل قصيدة المتنبي في مدح أبي عبادة [عبيد الله] البحتري على وفق هذا النقد الجمالي العربي. وهو نقد الفن للفن مبني على أصول علم الجمال ، يعنى بدراسة الأثر الفني من حيث مزاياه الذاتية ، وموضع الحسن فيه بغض النظر عن البيئة والتاريخ ، وعلاقة هذا الأثر بشخصية صاحبه[1].

قام البحث على تمهيد ومبحثين. تضمن. التمهيد مدخلاً الى النقد الجمالي العربي . وخص المبحث الاول بتحليل (القيم الموضوعية الجمالية) من حيث التناسق والتناسب والتنظيم في حين خص المبحث الثاني بتحليل (القيم الفنية الجمالية) من حيث اللغة والصورة والإيقاع. في قصيدة المتنبي.

- تنوعت الصور في قصيدة المتنبي من صورة تشبيهية يخص بها الممدوح عن طريق المشبهات الحسية لمعنى حسي مشترك . أو الصورة الاستعارية التي تحقق مفارقة في التعبير عن المطر (الماء) في جعله (الموت) . أما الصورة الكنائية فتعبر عن المكانة المرموقة التي يحتلها الرجل الممدوح في نفوس القوم ومستوى التاريخ للصفات الراقية المعروفة عنه .
- جاءت القصيدة على بحر البسيط لتقديم صورة واضحة جلية عن الممدوح بقافية (الدال) وبما يوحيه هذا الصوت من بعد حسي في التعبير من خلال التغني بالممدوح وصفاته وقومه وما يعطيه من النفس الطويل في تكرار الحرف والفعل والاسم لإعطاء قيمة ايقاعية على مستوى البيت الشعري الواحد وعلى مستوى الشطر لوحده . اما التجمع الصوتي فيعمل على تكرار حرف معين من خلال الكلمات فيتجمع أكبر عدد ممكن كما في حرفي الميم والفاء .

اعتمد البحث على مجموعة من المصادر والمراجع في وضع الرؤية النقدية الجمالية من ابرزها: الظاهرة الجمالية في الاسلام للدكتور صالح الشامي ، والأسس الجمالية في النقد العربي للدكتور

عزالدين اسماعيل ، وبحث الدكتور جميل علوش (النظرية الجمالية في الشعر بين العرب والافرنج) في العدد 24 لسنة 1986 في مجلة الوحدة التي تصدر في الرباط فضلاً عن الدراسات الفنية للشعر.

Daliat AL-Mutanabi for Recommending Subt Abi Obadah AL-Buhtori (Analytical Study)

Asst. Lect. Jinan Abdullah Younis
Department of Arabic Language
College of Arts / Mosul University

Abstract:

We can say that the Arabian aesthetical criticism produced the technical characteristics in poetry and the speakers, critics and eloquent offer a different glances of beauty. They introduced a great which joining with their multiple tests. For this reason I present this research to analysis AL-Mutanabi's poem for recommending Abi-Obadah AL-Buhtori according to his aesthetical criticism and its means to critique the arts which depends upon the basis of prettiness and do not take the history and environment into consideration and the relationship between the technical impact and his personality.

This research includes an introduction and two chapters. The introduction talks about the entrance to the Arabian aesthetical criticism and the first chapter talks about the subjective values according to its format and structure whereas the second one talks about the technical values according to its language, images and rhythms.

The images in AL-Mutanabi's poem were varied and they described AL-Mamdouh according to the sensory suspected for the common sensory meaning or the loan image which achieves a contrastive expression about rain (water) in making it (death) whereas the metonymical image describes the social position of AL-Mamdouh in the hearts of other people and his good behavior.

This poem shows a clear image describing AL-Mamdouh in his rhyme and his great behavior and the repetition of the letter, verb and the name to give an acceptable value according to the poetic level and one bisect whereas the phonological gathering works to assert the letter during the words then it will be a great number as in the two letters (M and F).

This research depends on a number of references and books, in order to complete it. The important one is the aesthetical phenomenon in Islam by Dr. Salih AL-Shami, the aesthetical bases in Arabian criticism by Dr. Izudden Ismaeel and research of Jameel ALosh (The aesthetical theory in poetry

between Arabs and Foreigners) in AL-Wahdah periodical issued in AL-Ribat in 1986 – issue 24.

هدف البحث:

مدخل الى النقد الجمالي العربي

يبقى الجمال الصفة التي تؤثر في الاحساس الجمالي وتعمل على اثارة الانفعالات الوجدانية تجاه الجمال[2] على الرغم من صعوبة تحديد الجمال لأنه معنى من المعاني لا يقوم بنفسه وانما يقوم بغيره فضلاً عن اختلاف الافراد في تقديرهم للجمال[3] .

قدم العرب تراثاً فنياً كبيراً في فنونهم المختلفة ، ورؤية جمالية تمثل الصيغة الموحدة في الهدف والتغاير في اشكال التعبير والتنفيذ المرتبط بمراحل الفن العربي التقليدي والمناخات التي تأقلم معها (....) ان الجماليات العربية تمثل الرؤية العربية المستقلة عن الجماليات السابقة لها (....) لذا فقد عبرت عن اهداف ومضامين متغايرة معها ورؤى جمالية لها خصوصيتها[4] للجمال عند العرب خصوصية ورؤية واتجاهات ، فهم قد قدموا نظرات جمالية عن الحياة والادب ، ففي الحياة ركز على الجمال الظاهر الذي يسر العين ويلذ الأذن[5] وفي الادب اهتموا بالنواحي الجمالية اذ ((تقصوا اسرارها واستخرجوا قواعدها ، فجمعوها في فصول وابواب تعرف بين علومهم بعلم البلاغة وهو علم واسع لابد منه لمن اراد النطق الجميل بلسانهم والتعبير المؤثر بلغتهم وعلى طرائقهم الاصولية))[6].

قدم العرب نظرات جمالية في الشعر فأخذ النقاد والبلاغيون بتلمس السمات الجمالية دون ذكر المصطلح فتحدثوا عن التزيين والتحسين والتهذيب والتنقيح والانتقاء والانتخاب وعذوبة اللفظ ورشاقة المعنى[7] وبهذا قدم العرب نظرات جمالية حسب ظروف حياتهم وتجاربهم العامة والخاصة[8] ومما سبق يمكن استنباط القيم الموضوعية الجمالية التي ركز عليها النقد الجمالي العربي بالتناسق والتناسب والتنظيم.

نص قصيدة المتنبي

وقال المتنبي[9] يمدح أبا عبادة [عبيد الله] بن يحيى البحتري[10]

ما الشّوْقُ مُقتنعَا مِنِّي بذا الكمدِ
حتى أكُونَ بَلا قلْبٍ ولاَ كَبِدِ

وَلا الدّيارُ التي كان الحبيبُ بها
تشكو اليَّ ولا أشكو الى أَحَدِ

ما زالَ كُلُّ هَزيم الودق يُنحِلُها

وكلَّما فاض دَمَعْي غاض مُصطبري ... والسْقم يُنْحُلِني حتى حكَتْ جَسدي

فأينَ من زفراتي من كَلفْتُ بِهِ ... كأنَّ مسالَ من جفنيَّ من جَلَدي

لَّما وزْنتُ بك الدُّنيا رجَحَتَ بها ... وأينَ منَكَ أبنَ يَحْيى صَولة الأسدِ !

ماَ دَار في خَلَدَ الأيامِ لى فَرَحُ ... وبــالوَرَى قُــل عنــدي كثــرةُ العــددِ

مِلْكُ اذا امتلأتْ مالاً خَزَائنُهُ ... أبـا عُبـادةَ ! حتـى دُرت فـي خَلَـدي

ماضي الجنان يُريه الَحزْم قبل غدٍ ... أذاقهـــا طَعْـــمَ ثكـــلِ الأمّ للْولـــدِ

ماذا البهاءُ ولاذا النُّورُ من بشرٍ ... بَقلبــهِ مــا تــرى عينــاهُ بَعَـد غـدِ

أيُّ الأكُفِّ تَبارى الغيث ما أَتفقا ... ولا السَّـماحُ الـذي فيــه سَـماحُ يـدِ

قد كنتُ أحْسَبُ أن المجدَ من مضرٍ ... حتــى اذا أفترقــا عــادتْ ولــم يُعــدِ

قومُ اذا مطرتْ موتاً سيوفهم ... حتــى تبحتــر فهــو اليــومَ مــن أددِ

لم أُجرِ غاية فكري مِنكَ في صفةٍ ... حسِـبْتَها سُـحُبا جـادتْ عَلـى بلـدِ

إلا وجــدتُ مــداها غايــة الأبــدِ

المبحث الأول : القيم الموضوعية الجمالية

إن دراسة القيم الموضوعية الجمالية في النص الشعري تهتم بجماليته من حيث كونه نصاً جمالياً بالدرجة الأولى ويلبي حاجات جمالية في المقام الاول[11].

1- التناسق

يمثل التناسق النظام الخفي الذي يربط الأشياء بعضها بالبعض الأخر ، فتبدو في وحدة متجانسة متكاملة أو يربط بين جوانب الشيء الواحد بحيث تبدو أجزاؤه متوازنة لا يطغى بعضها على بعض ، وقد يكون التناسق في الأشياء المختلفة ولكن يجمعها لون واحد أو قد تلتقي في أداء الحركة الواحدة او يكون التناسق في اتحاد المادة واللون والحركة [12] فالتناسق هو وحدة الأضداد، وهو أساس الجمال[13] والتناسق في الاسلوب ان يتم تنظيم العبارات بحيث يكون متلائما على طريقة واحدة ونظام واحد بتناسق النظم وتناسب الفقرات[14].

ومن أمثلة تناسق الاسلوب قول المتنبي :

ماضي الجنان يريه الخرم قبل غد بقلبه ما ترى عيناه بعد غد [15]

يبدو التناسق الاسلوبي من خلال البيت بنهاية الشطر الاول بـ (قبل غد) ونهاية الشطر الثاني (بعد غد) وبهذا يتناسق المعنى الذي يقدمه الشاعر ما بين القبل والبعد وما بين الماضي والمستقبل هنا تناسق ضدي.

ومن امثلة تناسق الاسلوب أيضا قول المتنبي :

أَيُّ الأكف تباري الغيثُ ما اتفقا حتى اذا افترقا عادت ولم يعد [16]

يبدو التناسق الاسلوبي بين الفعلين (ما اتفقا) (اذا افترقا) من حيث الدلالة على عدم حصول الشيء من الاتفاق والافتراق . ويبدو التناسق بين (عادت) و (لم يعد) . وعليه فقد قدم التناسق في البيت الشعري على أساس النفي في نهاية الشطر الأول (ما اتفقا) ونهاية الشطر الثاني (ولم يعد) " أيضاً ضدي ".

2- التناسب

يمثل التناسب صفة محددة للشيء الجميل [17]. وهو يمثل أيضاً وحدة للعلاقات بين الاشياء التي تدركها حواسنا بعد الفهم والحكم على الجمال [18] ويتكون من عناصر وخصائص وصفات تعبر عن كيفية التعامل مع النص [19] ويمكن ان يتحقق التناسب من خلال اللون والحركة عبر النص [20]. أو من خلال التناسب بين البدء والانتهاء او ُ تناسب أجزاء الموضوع مع وجود الغاية والهدف من ذلك [21].

ومن امثلة التناسب قول المتنبي :

ما دار في خلد الأيام لي فرح أبا عبادة حتى درتَ في خلدي [22]

جاء التناسب في البيت الشعري من خلال (خلد الأيام) (في خلدي للتعبير عن المستوى العام اولاً ثم المستوى الخاص ثانياً فإذا كان الممدوح قد دار في خلد الأيام ولم تحقق له شيئاً ، فإن الشاعر دار في خلده ومدحه .

ومن أمثلة التناسب قول المتنبي :

ماذا البهاء ولاذا النور من بشر ولا السماح الذي فيه سماح يد [23]

يقدم الشاعر تناسباً بين صفات الممدوح من حيث المكانة والكرم عن طريق التساؤل عن البهاء والنور الذي عند الممدوح فوق مستوى البشر فضلاً عن سماح اليد الذي يعد السماح في أرقى صوره .

ومن أمثلة التناسب قول المتنبي :

قد كنت أحسب أن المجد من مضر حتى تبحتر فهو اليوم من أدد [24]

يقدم الشاعر في البيت الشعري تناسباً بين مجدين الأول من مضر، والثاني من أدد . ويعزز مكانة الممدوح بأن يصف المجد بأنه (تبحتر) أي أصبح خاصاً بآل تبحتر من نسل (أدد) .

3- التنظيم

يلتقي التنظيم مع التناسب ولكن التنظيم يختص بتناسق الأبعاد في حين تبقى سمة التناسق عامة اذ تشمل تناسق الألوان بعضها مع البعض الاخر او المادة او الصوت ويقصد بالأبعاد معناها العام وقد تكون أبعاد الشيء الواحد أو المسافات بين الاشياء أو ترتيب الاشياء على شكل هندسي من استقامة او تطابق أو تنضيد أو تناظر انه التناسق في الصورة الظاهرة [25] ويتم التنظيم من حيث التوازن والقياس بوصفهما عنصرين من عناصر الجمال والكمال [26] ويتم كذلك بالنظام والقوة والبساطة [27].

ومن أمثلة التنظيم قول المتنبي :

ولا الديارُ التي كان الحبيب بها تشكو اليَّ ولا أشكو الى أحدِ [28]

سعى الشاعر الى تنظيم انكاره من خلال التقابل بين الشكو تين شكوى الديار التابعة للحبيب للشاعر، ومن ثم تحمل هذه الشكوى فلا يبرزها الشاعر لأحد ، وهنا حدثت المفارقة بين الشكوى للغير، والتزام الشكوى من دون الغير .

ومن أمثلة التنظيم قول المتنبي :

لما وزنت بك الدنيا رجحت بها وبالورى قلُ عندي كثرة العدد [29]

يعبر البيت الشعري عن صفة التنظيم من خلال الوزن والرجحان والعدد فيجعل الشاعر ممدوحه بكفة ميزان مع الدنيا فتفوز كفته بين الناس مع كثرة العدد أي أعطى صفة راقية وعالية لممدوحه من خلال هذا التنظيم .

ومن أمثلة التنظيم قول المتنبي :

قوم اذا مطرت موتاً سيوفهم حسِبَتْها سُحُباً جادت على بلد [30]

يكمل الشاعر تنظيمه للأفكار بتنسيق دقيق فيما يخص ممدوحه من خلال وصف قومه بالشجاعة النادرة التي يتحول فيها المطر بالسيوف الى موت محقق لا مفر منه . وهذا التنظيم بين المطر في الشطر الأول ، والسحب في الشطر الثاني حقق مدحاً راقياً للموصوف .

المبحث الثاني : القيم الفنية الجمالية

تكمن القيم الفنية الجمالية في النص الشعري من خلال اللغة التي ينتجها النص فضلاً عن الصورة الفنية من حيث الاعتماد على الفنون البيانية من التشبيه والاستعارة والكناية ، ويأتي الايقاع ليشكل قيمة فنية ثالثة .

1- اللغة

للغة الشعرية سمة أساسية هي تفاعلها مع جملة العوامل التي تشكل التجربة ومن ثم قدرتها في التعبير عن مخاض عصرها[31] وبما ان الشعر ما هو الا ((كيفية لغوية خاصة)) [32] فان لغة الشعر بطبيعتها لغة رمزية وأن بدت في ظاهرها وصفاً او تسجيلاً [33].

أ- الألفاظ

للألفاظ في الشعر دلالات متعددة هي : دلالة السياقية في استجلاء معنى الألفاظ [34] فعناصر اللغة كلها من مفردات أو قواعد لا قيمة لها في ذاتها وانما تستمد قيمتها من السياق اما الدلالة الاقترانية فتكمن في اقتران لفظ بآخر ليشكل بعداً دلالياً خاصاً[35] اما الدلالة الايحائية فما يوحي به اللفظ من اصداء ومؤثرات في النفس لا يمكن أن يوحيه لفظ أخر [36].

ومن أمثلة الدلالة السياقية قول المتنبي :

وكلما فاض دمعي غاض مصطبري كأن ما سال من جفني من جلدي

يعبر البيت الشعري عن قمة الحزن الذي يعانيه الشاعر اذ يعطي السياق دلالة ذلك من خلال (غاض مصطبري) (فاض دمعي) ويعلل سبب ذلك في ان سيل الدمع من الجفن كأنه من الجلد أي حزن الجسد كله وليس دمع العين فحسب .

ومن امثلة الدلالة الاقترانية قول المتنبي :

فأين من زفراتي من كلف به وأين منك ابن يحيى صولة الأسد[37]

يدل النص الشعري على الممدوح الذي اقترن اسمه بـ (ابن يحيى) للتعبير عن نسبة الممدوح لأبيه ابن الشاعر البحتري . وبهذا كان الاقتران بمثابة دلالة كشف فيها الشاعر عن بطولة الممدوح.

ومن أمثلة الدلالة الايحائية قول المتنبي :

قوم اذا مطرت موتا سيوفهم حسِبَتْها سحبا جادت على بلد [38]

تعطي مفردات المطر والموت والسيوف دلالة ايحائية على بطولة هؤلاء القوم من خلال القتال الطويل الذين هم عليه بحيث تحول القتال الى مطر الموت من أثر ذلك.

ب – الأفعال

تنوعت الافعال في قصيدة المتنبي بين الماضي والمضارع من خلال عدة مستويات : مستوى المتكلم (أكون) ثم مستوى الغائب (الديار) من خلال الفعل (تشكو) ويتواشج معه مستوى المتكلم (أشكو) وثم يتحول الشاعر الى مستوى الغائب (ينحلها) ثم مستوى المتكلم (ينحلني) بالفعل المضارع الذي أضيفت اليه (ياء المتكلم) .. ويبقى الشاعر في هذا المستوى عبر عدة افعال (حكت / فاض دمعي / سأل) (وزنت) ثم يتحول الى مستوى الغائب (رجحت بها) (درتَ) (امتلأت) ثم مستوى المخاطب (ما ترى عيناه) انتقالاً الى مستوى الغائب (تبحتر / جادت) وأخيرا مستوى المتكلم (وجدت) للتعبير عن مدى صفات الممدوح والغاية من ذلك المدح (غاية الأدب).

ج – الجمل

تمثل الجملة الواحدة الرئيسة للمعنى التي تعبر عن فكرة تامة[39] اذ تتناوب الجمل بشكليها الاسمى والفعلي في نص قصيدة المتنبي من حيث الجمل التوليدية بغير نقص او زيادة ، او التحويلية التي تتم بعناصر الزيادة والترتيب والحذف وما الى ذلك [40].

ومن أمثلة الجملة التوليدية قول المتنبي :

ماضي الجنان يُريه الحزم قبل غدٍ بقلبه ما ترى عيناه بعد غد [41]

يحوي البيت الشعري الجملة التوليدية (ماضي الجنان يُريه، للتعبير عن المبتدأ المضاف والخبر (الفعل يريه) لتكوين جملة اسمية تبدأ بالمبتدأ وتكمل بالخبر (جملة فعلية).

ومن أمثلة الجمل التحويلية قول المتنبي :

أيُّ الأكف تباري الغيث ما اتفقا حتى اذا افترقا عادت ولم يعد [42]

يحوي البيت الشعري ثلاث جمل تحويلية احتاج فيها الفعل الى اداة قبله (ما اتفقا / اذا افترقا / لم يعد) للتعبير عن النفي في الجملة الأولى والشرط في الجملة الثانية والجزم في الجملة الثالثة لذا جاءت هذه الجمل باستخدام الزيادة على ما قبلها لتحقيق الغرض النحوي المقصود من هذا التعبير.

2- الصورة

تمثل الصورة جوهر الشعر[43] والصورة ماهي الا ((رسم قوامه الكلمات المشحونة بالإحساس والعاطفة))[44] لذا يستخدم مصطلح الصورة للدلالة على كل ماله صلة بالتعبير الحسي [45] وتمثل الصورة لقاء للفظ والمعنى في تشكيل لغوي يتسم بالحدة والابتكار والحركة والايحاء والتأثير[46] وهي

بذلك تمنح مجالاً لنمو النص وتكوينه[47] لذا تعد الصورة لوحة مؤلفة من كلمات تقدم ما تحمله عن طريق الحس والإيحاء [48].

أ- الصورة التشبيهية

يُعرف التشبيه بأنه ((الدلالة على مشاركة آمر لآخر في معنى))[49] ويكون للبصر من بين الحواس أثراً متميزاً في صوغ التشبيه ونقشه بمختلف الالوان[50].

ومن امثلة الصور التشبيهية قول المتنبي :

وكلما فاض دمعي غاض مصطبري كأن ما سال من جفني من جلدي [51]

يشبه الشاعر سيل الدمع من الجفن ، بالسيل من الجلد على سبيل المبالغة في الحزن ، وهذا التشبيه حسي فالمشبهان فيه يحسان لمعنى حسي يجمع بينهما فيما يتعلق يفيض الدمع ، والسيل من الجفن.

ومن امثلة الصور التشبيهية قول المتنبي :

لما وزنت بك الدنيا رجحت بها بالورى قُل عندي كثرة العدد [52]

يشبه الشاعر موصوفه وممدوحه بوزن الدنيا من خلال رجحان كفِته على سبيل المبالغة في مكانة هذا الممدوح بين الناس وما حققه من شجاعُة وكرم على مستوى الحياة في الدنيا.

ب- الصورة الاستعارية

تُعد الاستعارة مجازاً لغوياً اذ إن المجاز اللغوي أعم من الاستعارة ، وكل استعارة مجاز لغوي وليس كل مجاز لغوي استعارة [53] وعليه فالاستعارة أن تريد تشبيه شيء بشيء فتدع ان تصفح بالتشبيه وتظهره وتجيء الى أسم المشبه به فتعيره المشبه وتجربه عليه[54] أي ذكر أحد طرفي التشبيه وارادة الطرف الاخر بإثبات للمشبه ما يختص بالمشبه به[55] وبهذا تحصل الاستعارة من التفاعل او التوتر بين بؤرة المجاز وبين الاطار المحيط بها[56] وهي غاية الصورة وتؤدي وظائف مهمة هي الاخبار والامتاع والتأثير [57].

ومن أمثلة الصور الاستعارية قول المتنبي :

قومُ اذا مطرت موتاً سيوفهم حسبْتَها سُحباً جادت على بلد [58]

يشبه الشاعر الموت بمطر السيوف ، فحذف المشبه به وأبقى لازمة من لوازمه (سيوف) بدل (الماء) فكان السماء تمطر سيوفاً تسعى الى القتل والموت أي نفي الحياة على العكس من وظيفة الماء في الحياة واعطاء معاني الديمومة والاستمرار والبقاء .

ج- الصور الكنائية

تعني الكناية ((أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء الى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيؤمي به اليه ويجعله دليلاً عليه))[59] وبهذا فالكناية ليست كالاستعارة يجري فيها الاستبدال بل هي مجاورة تعتمد على تنضيد الاشياء في حين ان الاستعارة تقوم على مبدأ الانتقاء [60].

ومن أمثلة الصور الكنائية قول المتنبي :

لم أجرِ غاية فكري منك في صفةٍ الا وجدت مداها غاية الأبد [61]

تعبر الكناية في البيت الشعري عن موصوف هو الممدوح (أبو عبادة [عبيد الله] البحتري) فيوضح الشاعر بأن أي صفة تخطر في باله ينوي المدح بها ، يجدها في الممدوح وقد بلغت غايتها ومداها . وبذلك تعبر هذه الكناية عن المكانة المرموقة التي يحتلها هذا الرجل في التاريخ على مستوى القوم بما يحمل من صفات راقية .

3 – الإيقاع

يتمثل الاثر الممتع للإيقاع عقلياً وجمالياً ونفسياً : ((أما عقلياً فلتأكيده المستمر في ان هناك نظاماً ودقة وهدفاً في العمل ، وأما جمالياً فإنه يخلق جواً من حالة التأمل الخيالي الذي يضفي نوعاً من الوجود الممتلئ في حالة شبه واعية على الموضوع كله . وأما نفسياً فإن حياتنا كلها ايقاعية))[62] والايقاع هو توافق صوتي بين مجموعة من الحركات والسكنات يؤدي وظيفة سمعية ويؤثر فيمن يستجيب له ذوقياً ((وهذا التوافق قد ترتضيه أذن دون اخرى فيبقى ايقاعاً ليس غير لكن متى ما ارتضته آذان شعرية عديدة ألحت في تقبله تحول الى وزن . لهذا فان كل وزن في حقيقته إيقاع في حين ليس كل ايقاع وزناً))[63] والايقاع نوعان خارجي وداخلي ، الخارجي يعتمد على البحر والقافية اما الداخلي فيعتمد على الصورة والنغم داخل البيت الواحد والقصيدة بأكملها فالإيقاع الخارجي تحكمه العروض أما الداخلي فتحكمه قيم صوتية باطنية أرحب من الوزن والنظم المجردين[64] وهذا الايقاع نغم يجمع أموراً عديدة بين الالفاظ والصورة ، ووقع الكلام والحالة النفسية للشاعر[65].

أ- الايقاع الخارجي

1- الوزن

جاءت قصيدة المتنبي على (بحر بسيط) وهذا البحر ينسجم وموضوع القصيدة إذ إنه من البحور الصافية والموضوع هي المديح لتقديم صورة واضحة لذا يعمل هذا البحر على ((كشف المعنى ويمكن ان يعبر عن العاطفة ويتلون بتلوينها))[66].

2- القافية

ان اختيار القافية يتبع اختيار البحر فكثير من الشعراء ينظمون في بحور معنية ولكن أين الابداع، انه يكمن في اختيار القافية وهذا يميزه عن شاعر آخر ينظم بالبحر نفسه الذي نظم فيه ذلك الشاعر. جاءت قصيدة المتنبي على قافية (الدال) وما يوحيه هذا الصوت من بعد في التعبير، وهذا يتماثل مع موضوع القصيدة الا وهو التغني بالممدوح وما يعطيه من النفس الطويل في إثبات ذلك. القافية الدالية هنا (مطلقة).

ب – الايقاع الداخلي

1 – التكرار

ان التكرار تناوب الالفاظ واعادتها في سياق التعبير بحيث تشكل نغماً موسيقياً[67] وهو اسلوب يحتوي على كل ما يتضمنه أي اسلوب من امكانيات تعبيرية[68] ويشمل التكرار كل وحدة لغوية مهما كانت[69] لذا يرتبط التكرار بالإيقاع لأنه يحتمل بنية تكرارية [70].

ومن أمثلة تكرار الحرف قول المتنبي :

ولا الديار التي كان الحبيب بها تشكو اليَّ ولا أشكو الى أحدِ [71]

تكرر حرف (لا) مرتين في الشطر الاول الداخلة على الاسم ، ولا الثانية في الشطر الثاني الداخلة على الفعل. وهذا يعطي بعداً ايقاعياً محبباً في البيت الشعري ويؤكد نفي الديار والشكوى.

ومن امثلة تكرار الفعل قول المتنبي :

ما زال كل هزيم الودق ينحلها والسقم ينحلني حتى حكت جسدي [72]

اذ تكرر الفعل ينحل مرتين بإضافته الى (ها) و(ياء المتكلم) للتعبير عن الضعف

ومن أمثلة تكرار الاسم قول المتنبي اذ تكرر السماح مرتين بالتعريف والتنكير في الشطر الثاني

ماذا البهاء ولا ذا النور من بشر ولا السماح الذي فيه سماح يد [73]

2- التجمع الصوتي

يرتبط المعنى بالسياق الصوتي الذي يبرز تأثير البنية الصوتية ووضعها في قوالب زمنية تمارس من خلالها الايحاء[74] ويتشكل التجمع الصوتي من خلال ما تمتاز به الكلمات من تقطيع وتفخيم ومن خلال الجمل المتقاربة في احوالها وأنفاقها الداخلية [75].

ومن أمثلة التجمع الصوتي ما جاء في البيت الثامن من قول المتنبي

ملك اذا امتلأت مالاً خزائنه أذاقها طعم ثكل الأم للولد [76]

اذ تجمع الحرف (م) من خلال (ملك / امتلأت / طعم / الأم) مما أعطى ايقاعياً لطيفاً بتكرار هذا الحرف على مدى البيت الشعري . ومن امثلة ذلك أيضاً ما جاء في البيت الحادي عشر اذا تجمع حرف الفاء من خلال (الألف / اتفقا / افترقا / اتفقا) :

أي الأكفُ تباري الغيث ما اتفقا حتى اذا افترقا عادت ولم يعدِ [77]

خاتمة البحث ونتائجه

بعد الانتهاء من تحليل قصيدة المتنبي في مدح أبي عبادة [عبيد الله] البحتري توصل البحث الى النتائج الآتية :

* برزت قيمة التناسق في قصيدة المتنبي ولا سيما في الاسلوب من خلال التناسق بين نهاية الشطرين الصدر والعجز لتقديم التناسق بين الماضي والمستقبل وللتعبير على أساس النفي من خلال تناسق الاسلوب بالتعبير عن الافعال.

* يأتي التناسب في قصيدة المتنبي لإعطاء صفات راقية عالية لممدوحه من خلال التعبير عن المستوى العام ثم المستوى الخاص (الايام / الشاعر) أو التناسب بين المجدين (مضر / ادد) وجعل المجد بحترياً خاصاً بآل بحتر من نسل أدد.

* يحقق التنظيم في القصيدة تناسقاً للأفكار وترتيبها من خلال التقابل بين شكوى الديار وتحمل الشكوى من لدن الشاعر او من خلال الفاظ الوزن والرجحان والعدد فضلا عن التنظيم بين (المطر) و (السحب) للتعبير عن شجاعة قوم الممدوح.

* عبرت الألفاظ في القصيدة عن عدة دلالات سياقية للتعبير عن قمة الحزن او اقترانية يعبر بها الشاعر عن نسبة ممدوحه الى يحيى ابن الشاعر المعروف البحتري او ايحائية بما تعطيها مفردات المطر والموت والسيوف . أما الأفعال فقد تنوعت مستويات التعبير عنها بالماضي والحاضر من حيث المستويات المتعددة الغائب والمتكلم والمخاطب .

هوامش البحث

(1) النقد الجمالي ، روز غريب : 5.

(2) ينظر : الجمال والفن ، د . ماهر كامل : 11 .

(3) ينظر : الظاهرة الجمالية في الإسلام ، د . صالح الشامي : 23 – 24 .

(4) جماليات عربية ، طارق الشريف ، مجلة الوحدة ، ع 24 س 1986 : 17 .

(5) ينظر : الجمالية بين الذوق والفكر ، د . عقيل مهدي يوسف : 29 – 30 .

(6) الفن والأدب ، د . ميشال عاصي : 69 .

(7) ينظر : النظرية الجمالية في الشعر ، د . جميل علوش ، مجلة الوحدة ، ع 24 س 1986: 62 .

(8) ينظر : الأسس الجمالية في النقد العربي ، د . عزالدين اسماعيل : 6 .

(9) شرح ديوان المتنبي : 1 / 349 – 352.

(10) أبو عبادة عبيد الله بن يحيى ، هو حفيد أبي عبادة الوليد بن عبيد البحتري الشاعر الكبير المعروف.

(11) بنية الخطاب النقدي، د . حسين خمري : 88 .

(12) الظاهرة الجمالية في الاسلام : 230 – 231 .

(13) الأسس الجمالية في النقد العربي : 114 .

(14) النظرية الجمالية في الشعر : 65 – 66 .

(15) شرح ديوان المتنبي : 350 .

(16) المصدر نفسه : 351 .

(17) مدخل الى نظرية الأدب الإسلامي ، د . عماد الدين خليل : 9 – 10 .

(18) الأسس الجمالية في النقد العربي : 37 .

(19) مدخل الى علم الجمال الأدبي ، د . عبدالمنعم تليمة : 40 .

(20) الظاهرة الجمالية في الاسلام : 234 .

(21) الحس الجمالي ، محمد صدقي الجباخنجي: 91 .

(22) شرح ديوان المتنبي : 350 .

(23) المصدر نفسه : 351 .

(24) المصدر نفسه 352 .

(25) الظاهرة الجمالية في الإسلام : 238 .

(26) الأسس الجمالية في النقد العربي : 76 .

(27) النظرية الجمالية في الشعر : 67 – 68 .

(28) شرح ديوان المتنبي : 249 .

(29) المصدر نفسه : 250 .

(30) المصدر نفسه : 252 .

(31) الأسس الجمالية في النقد العربي : 213 .

(32) مداخل الى علم الجمال الادبي : 113 .

(33) نظرية النقد الادبي في ثلاثة محاور متطورة، د . محمد حسين علي الصغير : 75 .

(34) الاسلوبية ونظرية النص: د . ابراهيم خليل : 48 .
(35) نظرية المعنى في النقد العربي، مصطفى ناصف : 161 .
(36) دلالة الألفاظ ، د . ابراهيم انيس: 46 .
(37) شرح ديوان المتنبي : 350 .
(38) م.ن : 351 .
(39) م.ن : 352 .
(40) بلاغة الخطاب وعلم النص ، د . صلاح فضل : 18 .
(41) في التحليل اللغوي ، د . خليل عمايرة : 42 ، 88 .
(42) شرح ديوان المتنبي : 251 .
(43) المصدر نفسه : 252 .
(44) نظرية البنائية في النقد الأدبي ، د . صلاح فضل : 277 .
(45) الصورة الشعرية ، سي . دي . لويس ، ترجمة : أحمد نصيف الجنابي وآخرون : 23 .
(46) الصورة الأدبية ، د . مصطفى ناصف : 3 .
(47) الصورة المجازية في شعر المتنبي ، جليل رشيد فالح ، أطروحة دكتوراه : 28 .
(48) الصورة الفنية في النقد الشعري ، د. عبد القادر الرباعي : 118 .
(49) الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي ، د. جابر عصفور : 392 .
(50) الايضاح في علوم البلاغة، القزويني : 213 .
(51) فن التشبيه، علي الجندي : 2 / 42 .
(52) شرح ديوان المتنبي : 350 .
(53) المصدر نفسه: 350 .
(54) اسرار البلاغة، عبد القادر الجرجاني : 368 .
(55) دلائل الاعجاز، عبد القاهر الجرجاني : 53 .
(56) مفتاح العلوم، السكاكي : 174 .
(57) تحليل الخطاب الشعري ، محمد مفتاح : 84 .
(58) الاسلوبية ونظرية النص : 119 .
(59) شرح ديوان المتنبي : 352 .
(60) دلائل الاعجاز : 52 .
(61) الاسلوبية ونظرية النص : 118.
(62) شرح ديوان المتنبي : 352 .
(63) الأسس الجمالية في النقد العربي : 363 .

(64) مدخل لدراسة الايقاع في قصيدة الحرب ، د. عبد الرضا علي، مجلة التربية والعلم ع 8 س 1989: 23.

(65) موسيقى الشعر ، د. ابراهيم انيس : 9 .

(66) الاتجاهات الجديدة في الشعر العربي المعاصر ، د. عبد الحميد جيدة : 354 .

(67) قضايا الشعر المعاصر ، نازك الملائكة : 263 .

(68) جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب / ماهر مهدي هلال : 239 .

(69) قضايا الشعر المعاصر : 263 .

(70) تحليل الخطاب الشعري : 21 .

(71) الأسس الجمالية في النقد العربي : 33 .

(72) شرح ديوان المتنبي : 349 .

(73) م.ن : 350 .

(74) م.ن : 351 .

(75) نظرية البنائية في النقد الأدبي : 472 .

(76) جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب / ماهر مهدي هلال : 133 .

(77) شرح ديوان المتنبي : 351 ، 352.

المصادر والمراجع

أولاً : الكتب :

1- الاتجاهات الجديدة في الشعر العربي المعاصر ، د. عبد الحميد جيدة ، مؤسسة نوفل ، ط1، بيروت ، 1980.

2- أسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق : هـ . ريتر، وزارة المعارف، استانبول، 1954.

3- الأسس الجمالية في النقد العربي، د. عز الدين إسماعيل ، دار الشؤون الثقافية ، ط3، بغداد، 1986.
4- الأسلوبية ونظرية النص، د. إبراهيم خليل ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط1، بيروت ، 1997.
5- بلاغة الخطاب وعلم النص ، د. صلاح فضل ، مكتبة لبنان ، الشركة المصرية العالمية للنشر ، دار نوبار للطباعة ، ط1 ، القاهرة ، 1996.
6- بنية الخطاب النقدي، د. حسين خمري ، دار الشؤون الثقافية العامة ، ط1 ، بغداد، 1990.
7- تحليل الخطاب الشعري ، د. محمد فتاح ، دار التنوير للطباعة والنشر ، ط1 ، بيروت، 1985.
8- جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب ، د. ماهر مهدي هلال ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، 1980.
9- الجمال والفن ، د. ماهر كامل ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، 1957.
10- الجمالية بين الذوق والفكر ، د. عقيل مهدي يوسف ، مطبعة سلمى الفنية الحديثة ، ط1، بغداد، 1988.
11- الحس الجمالي ، محمد صدقي الجباخنجي ، دار المعارف ، ط1 ، القاهرة ، 1980.
12- دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق : محمد رشيد رضا ، مطبعة الفتوح، القاهرة ، 1952.
13- دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، 1976.
14- شرح ديوان المتنبي، دار المعارف ، القاهرة ، 1973.
15- الصورة الأدبية، مصطفى ناصف، دار الأندلس ، ط2 ، بيروت ، 1981.
16- الصورة الشعرية، سي. دي. لويس، ترجمة: د. أحمد نصيف الجنابي ومالك ميري وسلمان حسن إبراهيم ، دار الحرية للطباعة ، بغداد، 1982.
17- الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، د. جابر عصفور ، دار التنوير للطباعة والنشر، ط2 ، 1983.
18- الصورة الفنية في النقد الشعري ، د. عبد القادر الرباعي ، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، 1984.
19- الظاهرة الجمالية في الإسلام ، د. صالح أحمد الشامي ، المكتب الإسلامي ، ط1، بيروت – دمشق، 1986.
20- الفن والأدب بحث جمالي في الأنواع والمدارس الأدبية والفنية ، د. ميشال عاصي، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع ، ط2 ، بيروت ، 1970.

21- فن التشبيه، علي الجندي ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط2 ، القاهرة ، 1967.
22- في التحليل اللغوي، د. خليل أحمد عمايرة ، مكتبة المنار ، ط1 ، الأردن – الزرقاء، 1987.
23- قضايا الشعر المعاصر، نازك الملائكة ، دار العلم للملايين ، ط5 ، بيروت ، 1978.
24- مداخل إلى علم الجمالي الأدبي ، د. عبد المنعم تليمة ، دار الثقافة ، القاهرة ، 1978.
25- مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ، ط2 ، بيروت ، 1988.
26- مفتاح العلوم، السكاكي ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ط1 ، القاهرة ، 1937.
27- موسيقى الشعر ، إبراهيم أنيس ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط3 ، القاهرة ، 1965.
28- نظرية البنائية في النقد الأدبي ، د. صلاح فضل ، دار الشؤون الثقافية العامة ، ط3، بغداد، 1987.
29- نظرية المعنى في النقد العربي ، مصطفى ناصف ، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ط2 ، بيروت، 1981.
30- نظرية النقد العربي في ثلاثة محاور متطورة ، د. محمد حسين علي الصغير، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد، 1986.

ثانياً : البحوث المنشورة في الدوريات :

31- جماليات عربية حديثة ، طارق الشريف ، مجلة الوحدة ، الرباط ، ع 24 س 1986.
32- مدخل لدراسة الإيقاع في قصيدة الحرب ، د. عبد الرضا علي ، مجلة التربية والعلم، كلية التربية – جامعة الموصل ، ع 8 س 1989.
33- النظرية الجمالية في الشعر بين العرب والإفرنج ، د. جميل علوش، مجلة الوحدة، الرباط، ع 24 س 1986.

ثالثاً : الرسائل الجامعية :

34- الصورة المجازية في شعر المتنبي، جليل رشيد فالح ، أطروحة دكتوراه: بإشراف د.أحمد مطلوب ، مقدمة إلى كلية الآداب ، جامعة بغداد ، 1985.